

الإيمان بالقدر



الإيمان بالقدر خيره وشره ركنٌ من أركان الإيمان، والقدر هو تقديرُ الله للكائنات حسب ما سبقَ به علمُ الله واقتضته حكمته، وهو ما سبقَ به العلم وجرى به القلم مما هو كائنٌ إلى الأبد، والإيمان به هو أن تؤمنَ أنَّ الله جلَّ جلاله قادرٌ مقاديرَ الخالق وما يكون من الأشياءِ والحوادث قبل أن تكون، وعلمَ سبحانه أنها ستَقع في أوقات معلومة على صفات مخصوصة، فعلمَها سبحانه، وكتبَها بكلِّ تفاصيلها ودقائقها، وشاءَها وخلقَها، فهي كائنةٌ لا محالة على التفصيل والدقة كما شاءَ ربُّنا تباركَ وتعالى، وما لم يشاءُ فإنه لا يكون، وهو قادرٌ على كلِّ شيءٍ، فإنْ شاءَ وقع، وإنْ لم يشاءُ لم يَقع، مع قدرَته على إيقاعِه، قالَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدْرًا مَقْدُورًا﴾، وقالَ سبحانه: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدْرٍ﴾^{٤٩} وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَحْدَهُ كُلَّمِيعٍ بِالْبَصَرِ﴾، والله تعالى خالقُ كلِّ شيءٍ وربُّه ومليكُه، والله تعالى ما شاءَ كان، وما لم يشاءْ يكن، ولا يكون في الوجود شيءٌ إلا بعلمه ومشيئته وقدرته، لا يمتنعُ عليه شيءٌ، بل هو قادرٌ على كلِّ شيءٍ، ويعلمُ سبحانه ما كانَ وما يكون، وقد قدرَ مقاديرَ الخالق قبلَ أن يخلقهم، قدرَ آجالَهم وأرزاقَهم وأعمالَهم، وكتبَ ذلك، وكتبَ ما يصيرونَ إليه من سعادةٍ وشقاوة، والعبادُ مأمورون بما أمرَهم الله به، منهيونَ عما نهَاهم عنه، ونؤمنُ بوعدِ الله ووعيده، ولا حجَّةٌ لأحدٍ على الله في واجب تركه أو محرَّم فعله، بلَّه الحُجَّةُ البالغةُ، قالَ الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ بِقَدْرِهِ وَنَقْدِيرَكَ﴾، وليسَ معنى القضاءِ والقدرِ الإجبارُ والقهرُ، وإنما المعنى إظهارُ ما عَلِمَ الله تعالى أنه لا بدَّ كائِنٌ، فالقدرُ خيره وشره وحلوه ومره من الله، لا خالقٌ إلا هو سبحانه لا يُسألُ عما يَفْعَلُ وهم يُسأَلُونَ.

والقضاءُ: معناه لُغَةٌ وشَرِيعَةُ الْخَلْقِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَضَيْنَاهُنَّ سَبَعَ سَمَوَاتٍ﴾، وَالقدرُ: معناه التَّدْبِيرُ أَيْ فِي الْأَزْلِ عِلْمَ اللَّهِ الْأَشْيَاءِ وَخَلْقَهَا كُلُّهَا، وَلَا تَنَافِيْ وَلَا تَعَارُضٌ بَيْنَ الْقَضَاءِ وَالْقَدْرِ وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِتَدْبِيرٍ أَزْلَى مِنَ اللَّهِ وَبَيْنَ مَسْرُوعَيْهِ أَنْ يَدْعُو الْعَبْدُ رَبَّهُ بِمَا شَاءَ مِنَ الْخَيْرِ، وَلَيْسَ مَعْنَى الدُّعَاءِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُغَيِّرُ مَشِيَّتَهُ بِدَعْوَةِ الدَّاعِيِّ لِأَنَّ أَقْوَى عَلَامَاتِ الْحَدُوثِ التَّغْيِيرُ وَلَوْ كَانَ اللَّهُ مُتَغَيِّرًا لِكَانَ حَادِثًا وَلَوْ كَانَ حَادِثًا لِكَانَ مُخْلوقًا وَلَمْ يَكُنْ خَالِقًا، وَلَكِنَّ الدُّعَاءَ ثَوَابَهُ عَظِيمٌ عِنْدَ اللَّهِ وَالدَّاعِيِّ إِمَّا أَنْ يَكُونَ شَاءَ اللَّهُ لَهُ الْإِجَابَةُ وَإِمَّا أَنْ يُعْطَى الثَّوَابُ عَلَى دُعَائِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةَ لِيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلَا قَطْبِعَةَ رَحْمٌ إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ: إِمَّا أَنْ يُعَجَّلَ لَهُ دُعَوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدْخُرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا))، فَجَمِيعُ أَفْعَالِ الْعِبَادِ تَحْتَ مَشِيَّةِ اللَّهِ وَهُوَ مَا يَدْلِلُ عَلَيْهِ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾، فَالْمَشِيَّةُ هِيَ الْإِرَادَةُ وَلَيْسَ الْأَمْرُ فَالْكُلُّ بِإِرَادَتِهِ تَعَالَى وَلَيْسَ الْكُلُّ بِأَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُوضَّحُ ذَلِكُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَكَادِ﴾^{٣٦} وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضْلِلٍ، فَمَنْ اهْتَدَ فِي بِفَضْلِ مِنْ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ فَلَسَابِقُ عِلْمِهِ تَعَالَى بِمَا يَكُونُ مِنْهُ لَا تَبْدِيلٌ لِكَلِمَاتِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فَالْقَدْرُ مَعْنَاهُ إِظْهَارُ مَا سَبَقَ فِي عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ اسْتِعْدَادِ الْعَبْدِ، لَا تَبْدِيلٌ لِحُكْمِهِ وَلَا مُعَقَّبٌ لِأَمْرِهِ، فَالْعَبْدُ يُنْسَاقُ بِاختِيَارِهِ إِلَى مَا عَلِمَ اللَّهُ أَنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ، وَلَا يَجُوزُ اعْتِقَادُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَصِّي قَهْرًا بِلَ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْرِي فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ، مَنْ هَدَاهُ فِي بِفَضْلِهِ وَمَنْ أَضَلَّهُ فَبِعَذْلِهِ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ وَلَا خَالِقٌ سُواهُ، وَيَدْلِلُ عَلَى ذَلِكُ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَهَدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزَغْ قُلُوبُنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْنَا﴾ فَهَذَا كُلُّهُ يَدْلِلُ عَلَى أَنَّ الْهُدَى وَالْزَّيْغَ بِيَدِ اللَّهِ لَا بِيَدِ الْعَبْدِ، فَلَوْ كَانَ الْإِنْسَانُ مُسْتَقْلًا بِإِرَادَتِهِ عَنْ إِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَأَيِّ غَرْضٍ يَسْتَعِينُ بِاللَّهِ فِي صَلَاتِهِ كُلَّ يَوْمٍ سَبَعَ عَشَرَةَ مَرَّةً، يَقْرَأُ الْفَاتِحةَ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ مِنَ الصَّلَوَاتِ الْمُفْرُوضَاتِ سُوَى السُّنْنِ وَالنَّوَافِلِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ وَاحْكَمُ.

الدرس السادس من سلسلة مجالس الجمعة

مدرسة الثقافة الإسلامية

أناهيم في 10/28/2011